نماذج من أقوال وحكم الإمام الرضا عليه السلام

دراسة في جماليات المستوى البلاغي

الأستاذ المساعد الدكتور فاطمة عبد زيد شوين الخزاعي
جامعة الكوفة ـ كلية التربية الأساسية
Falkhuzai6@gmail.com

Examples of sayings and wisdom of Imam Reza (peace be upon him) A study in the aesthetics of the rhetorical level

Asst. Prof. Dr. Fatima Abed Zaid Shuwain Al-Khuzaie
University of Kufa - Faculty of Basic Education

الملخص:-

مما لا شك فيه أن أي نص أدبي يكون إنموذجا بنيويا يحمل جميع الصفات الجمالية للنص، يعجز العقول ببلاغته ونسقه ورصانة الفاظه وتمام معانيه، وفي هذا البحث نحاول تسليط الضوء على مكامن الابداع الجمالي في النص، عن طريق تطبيق الاشارات البلاغية المستوحات من النص، وقد وقع الاختيار على هذا النصوص بالذات لما تتضمنه من ظواهر أسلوبية وقيم جمالية وبلاغية تلفت النظر وتشد ذهن المتلقي.

ووفق ما تقدم قسمت البحث على مبحثين، تناولنا في المبحث الأول التصوير الصوتي، اما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه التصوير الاستعاري، وبهذا القدر انهيت البحث بملحق يتضمن الخطبة، وخاتمة لاهم النتائج التي توصلنا اليها، وثبت للمصادر والهوامش.

الكلمات المفتاحية: الإمام الرضا عليه السلام، حكم وأقوال الإمام الرضا عليه السلام، المستوى البلاغي، الدراسة الجمالية، العنصر الصوري.

Abstract:-

There is no doubt that any literary text is a structural model that carries all the aesthetic qualities of the text, incapable of minds with its eloquence, coordination, sobriety of words and completeness of its meanings. Choosing on this particular text because of its stylistic phenomena and aesthetic and rhetorical values that draw attention and draw the mind of the recipient.

According to the foregoing, the research was divided into two sections. In the first topic, we dealt with audio imaging, while the second topic, we dealt with allegorical photography, and with this amount I ended the research with an appendix that includes the sermon, and a conclusion to the most important results that we reached, and proven sources and margins.

key words: Imam Reza (peace be upon him) , Judgment and sayings of Imam Reza (peace be upon him), rhetorical level, Aesthetic study, photo element.

المقدمة:ـ

نحلل في هذا البحث أقوال وحكم الإمام الرضا عليه السلام في قراءة بلاغية تكشف لنا عن الدلالات العميقة في البنية الداخلية للأقوال والحكم والتي تعود من غير شك إلى بنية خارجية أكبر منها، ولا تغفل هذه القراءة في مراحلها الأخيرة من رصد تأثير مرجعياتها الواقعية على تلك البنية الداخلية، فضلاً عن تشخيصها للتغييرات التي طرأت على المراجع بعد أن تحوّلت إلى دوال في عالم الاقوال اللغوية المتخيَّلة.

وتعود أهمية هذه الاقوال والحكم، إلى طاقتها التركيبية والفنية العالية التي حافظت على شفافية لغتها، بالرغم من كونها تعالج موضوعات واقعية معاصرة للإمام الرضا عليه السلام.

كما أن الاقوال امتلكت مجموعة من التقنيات الفنية التي أسهمت في إظهارها بهذه الصورة وبهذا الشكل المؤثر، والتي تتناسب بتركيبها الفني الدقيق مع دقة الاحداث التي مرت بها.

وفي ضوء ما تقدم تم تقسيم البحث على مبحثين، تناولنا في المبحث الأول التصوير الصوتي الذي تحدث عن التحليل الصوتي، في حين كان المبحث الثاني يتحدث عن العنصر الصوري والذي شمل التشبيه والاستعارة.

ثم انهينا البحث بملحق يحتوي مجموعة مختارة من الأقوال والحكم؛ لتكون مرجع للنصوص المحلل داخل البحث وهذا الأمر يساعد على تخفيف الثقل على الهامش.

ثم ختمنا البحث بخاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصل اليها البحث.

المبحث الأول

التصوير الصوتي

التكرار:

التكرار عنصر مهم من عناصر الإثارة في النص، فهو يعمل على تكثيف الجانب الصوتي اذ يخلق جواً من التناغم الموسيقي بواسطة الترجيع الصوتي وتكرارها على وتيرة واحدة وايقاع منظم، فضلاً عن ايحاءاته الدلالية والنفسية، فهو "إلحاح على جهةٍ هامةٍ في

العبارة"[١] ولابد لهذا الإلحاح من دوافع وأسباب يكشفها المتلقي بواسطة آثار هذه الظاهرة.

ولهذا عُد التكرار من أبرز المظاهر الأسلوبية التي عنيت بها الدراسات النقدية الحديثة لما تحدثه من آثر جمالي ونفسي ودلالي في النص ومتلقيه.

كان للتكرار دور فاعل في رسم معالم الجمال الفني وخلق أجواء الإثارة داخل اقوال الإمام عليه السلام، فالقارئ للنصوص يجد هذا الملمح الأسلوبي يطالعه بكثره ففي قوله (مجالسة العلماء عبادة و النظر إلى علي عليه السلام عبادة و النظر إلى البيت عبادة و النظر إلى المصحف عبادة و النظر إلى الوالدين عبادة)، لقد كرر الإمام عليه السلام لفظة عبادة مقترنة بعدة الفاظ مختلفة في اللفظ والمعنى، متشابهة في أهميتها عند الله (عز وجل) وفي الدين والمجتمع، فقد جمع الإمام هذه الاشياء تحت حكم واحد؛ ليبين اهميتها وواجب طاعتها، فالعلماء، والإمام الرضا عليه السلام، والوالدان، كلهم مشمولين بالطاعة المطلقة، والنظر هنا يشمل النظر الحقيقي من جهة، والطاعة من جهة أخرى، ويقول الإمام في موضع آخر مشابه: (الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة)، كرر لفظة درجة في مواضع عدة؛ ليبين سلسلة من الاحكام متمايزة في الحكم والأهمية.

قد اعطت هذه التكرارات للإحداث التي وردت في سياقها دلالة ايمانية بلاغية فنية، تساعد المتلقي للرجوع إلى دينه والإيمان بأهل البيت عليهم السلام، واوجب طاعتهم واتباع طريقهم طريق الحق والعمل بأمرهم، هذا ما أراد الإمام عليه السلام أن يوصله ويؤكد عليه بتكراراته لكلمات بعينها.

الإيقاع:

للإيقاع دور كبير في إثارة المتلقي؛ لأنه يعمل على إظهار القيمة الجمالية للنص ويثير في المتلقي ذلك الانفعال النفسي والإحساس العاطفي في الإنشداد والانقياد لتلك القيمة والتفاعل معها؛ لذا فلا غرو أن نجد إمامي الفلسفة (افلاطون وتلميذه ارسطو) يتفقان" على إن الأساس الجمالي يكمن في الإيقاع وفي العناصر التي يشملها نظامه"[٢].

ومن هنا وظف الإيقاع توظيفاً رائعاً في النص خلب الاسماع وأسر القلوب، ومما لاشك فيه أن التأثير الموسيقي للفاصلة" يزيد الأسلوب روقناً وجمالاً، عندما يجيء على نمط

خاص في تعبيره وتصويره مما يؤدي إلى هذه اليقظة النفسية والايحاءات المتعددة من جانب المتذوق لهذا التعبير والتصوير ويكمن ذلك النمط الخاص فيما تحدثه العبارة من جرس في الأسماع لم يلبث أن يتعمق بالوجدانيات ويمتزج بالمشاعر والأحاسيس"(٣).

إن هذا التأثير والتفاعل يجعل المتلقي" في حالة تدبر وتفكير بعد حصول الانفعال الوجداني والعاطفي؛ لأنه يظل في حالة انشداد واعية للوظيفة الحيوية ومقاصدها؛ وليصبح تبدل الإيقاع مثاراً لديه للانتقال من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام آخر، فالمتلقي للإيقاع القرآني في صميم الأنساق اللغوية والتصويرية بحسن ترتيبها وجلال نظمها ينفتح ذهنه على مستويات دلالية خاصة وعامة كلما تبدلت الإيقاعات المنتبهة إلى فاصلة قرآنية فتغدوا بمنزلة القرار والجواب للسياق كله"(٤).

وفي هذه المجموعة من الأقوال والحكم ورد الإيقاع عدة مرات كان الهدف منه جذب انتباه المتلقي، والتأكيد على المواضع المهمة، فمثلاً يقول في أحد اقواله:(أفضل ما يقدمه العالم من محبينا و موالينا أمامه ليوم فقره و فاقته و ذله و مسكنته أن يغيث في الدنيا مسكينا من محبينا من يد ناصب عدو لله و لرسوله يقوم من قبره و الملائكة صفوف من شفير قبره إلى موضع محله من جنان الله) فقد زاوج بين حرفين (الالف الضمير الهاء) إن اختيار هذان الحرفان في مقطع إيقاعية واحد وما حملانه من الخفة والحدة صعوداً ونزولاً، تتناغم مع دلالات النص المبارك وتتنامى مع تنامي الحالة الشعورية للنفس البشرية التي تواكب هذه الأحداث الاجتماعية أو السياسية التي ينظم القول أو الحكمة وفقها، ثم ما تلبث أن تقل حدة الأحداث ويبث الاطمئنان بكلمات هذا القول التي اختارها بين الشدة والرخاوة لتخفيف حدة الخوف من أهوال ذكر الفقر والمسكنة والقبر على المتلقي وشد عزمه من جهة أخرى.

وفي موضع آخر يقول عليه السلام: (خيار العباد الّذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساؤوا استغفروا، وإذا أعطوا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا غفروا).

فالإمام عليه السلام عندما يتجه إلى الفواصل المقفاة لم يستهدف من ذلك مجرد (الجرس الفني) بقدر ما يستهدف تحديد الدلالة التي تنتظم مع هذه الموسيقى، فالمؤمن (يستبشر) إذا عمل طاعة، و(يستغفر) إذا عمل معصية، و (يشكر) عطاء الله تعالى، فالعبارات

(استبشروا، استغفروا، شكروا)، لم تأت من أجل (القافية)؛ بل لأن نفس العبارات ترد في أي حديث آخر بنفس الصياغة الإيقاعية، كلما في الأمر أن الإمام عليه السلام جمع في هذه الفقرات جملة من التوصيات التي صبغت بنحو تتوافق (إيقاعيا)؛ ليحقق بذلك عنصر الإمتاع الفني كما هو واضح في أقواله وحكمه.

الطباق:

اجتمع أكثر من موضع في دلالته على الثنائيات الضدية لما فيها من ثراء في المعنى وفيه شيء من التناسب كون الطباق هو جمع بين الشيء وضده وتلك المواضع تسمى بطباق الإيجاب وهو الذي يكون بلفظين من نوع واحد(٥)، وقد كان لهذه الظاهرة الأسلوبية الدور الكبير في إحداث التأثير في المتلقي" البنية النسقية المتوازية والمتلائمة في أسلوب التقابل بنية نسقية مندمجة الأجزاء في سياق قائم على التناظر في الشكل ومتفاعل مع الدلالة، فما تكاد تلتقي حتى تفترق على التضاد أو على التشاكل لتخلق لذة جمالية مفاجئة ومثيرة وهي تنتقل من أسلوب نسقي إلى آخر لتحدث في النفس قبضاً وبسطاً هيبة وأنساً خوفاً ورجاءً"(٦)، وفي هذا النص تتجلى تلك الظاهرة بأبهى صورة وأجمل أداء، يعكس ذلك لإبداع الخلاّق اللامتناهي، إذ تتلاحم بنية التضاد مع بنية الإيقاع في نسق واحد فتبرز جمالية الأسلوب أبهى واجلّ، ويكون التأثير أكثر فأكثر.

ونجد هذه الثنائيات في قوله:(إن أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن يوم يولد و يخرج من بطن أمه فيرى الدنيا و يوم يموت فيعاين الآخرة و أهلها و يوم يبعث فيرى أحكاما لم يرها في دار الدنيا.)، وفي قوله أيضاً: (يا ابن أبي محمود إذا أخذ الناس يمينا و شمالا فالزم طريقتنا فإنه من لزمنا لزمناه و من فارقنا فارقناه إن أدنى ما يخرج الرجل من الإيمان أن يقول للحصاة هذه نواة ثم يدين بذلك و يبرأ ممن خالفه يا ابن أبي محمود احفظ ما حدثتك به فقد جمعت لك فيه خير الدنيا و الآخرة)، كذلك قوله: (إياك و الضربة بِالصَّوْلَجَان فإن الشيطان يركض معك و الملائكة تنفر عنك و من عثر دابته فمات دخل النار)، وللإمام عليه السلام قول آخر في الثنائيات المتضادة: (من أحب عاصيا فهو عاص و من أحب مطيعا فهو مطيع و من أعان ظالما فهو ظالم و من خذل عادلا فهو خاذل إنه ليس بين الله و بين أحد قرابة و لا ينال أحد ولاية الله إلا بالطاعة و لقد قال رسول الله ص لبني عبد المطلب ائتوني بأعمالكم لا بأنسابكم و أحسابكم).

إن هذا التنوع في عرض الضديات جعل النص عموماً يخضع لنسيج ثنائي مكون من صورتين يحكمهما عنصر التضاد الذي أضفى على النص حركة وحيوية؛ لأنه جعل المتلقي في حالة نفسية متوثبة تتماوج مع تموجات النص وتتنقل بين ثنائياته في انقباض وانبساط، وفي شد وجذب، تفضي نتائجه في استكناه العبر واختيار المصير، وقد اسهمت هذه الثنائيات في تفعيل العلاقة بين النص والمتلقي عن طريق إحداث الرياضة العقلية التي جعلت ذهن المتلقي يتحرك بين تلك الصور المتضادة ودلالاتها" بحثا عن تطابق أو تقابل وعن تماثل أو تباين وعن تناظر أو تعاقب للوقوف بذلك كله على تواؤم أو مفارقة"[٧]، فضلاً عن المسحة الجمالية التي اضفتها على النص عموما بالتناسق الصوتي والإيقاعي على المستوى الداخلي والخارجي لبنية التضاد الذي اطرب الأذن فتفحت له اسارير النفس، كل ذلك حفز المتلقي نحو الاستجابة للأثر الكلي للنصوص الشريفة.

الجناس:

ومنه الجناس الاشتقاقي تشابه اللفظين وتجانسهما ويسمى بتجنيس التصريف والاشتقاق بمعنى يتوافق اللفظان في الحروف الأصل مع الترتيب والاتفاق في أصل المعنى[٨]، منه الجناس الناقص (بشيء، وشاء)[٩]، بالرغم من أن الجناس والتجانس تعتمد التماثل السطحي[١٠].

(يا يونس وما عليك أن لو كان في يدك اليمنى درة ثم قال الناس بعرة أو بعرة وقال الناس درة هل ينفعك شيئا فقلت لا فقال هكذا أنت يا يونس إذا كنت على الصواب وكان إمامك عنك راضيا لم يضرك ما قال الناس)، جانس الإمام عليه السلام بين لفظين مهمين (درة، بعرة)، وقد حقق فيها قدرة عالية في التأثير والإقناع وجذب أنتباه المتلقين لسماع الحديث؛ لما يتحلى به النص من قوة التماسك والسبك والتمازج الصوتي المميز، كذلك جانس عليه السلام بقوله: (الإمام الأمين الرفيق والولد الشفيق والأخ الشقيق وكالأم البرة بالولد الصغير ومفزع العباد)، بين(رفيق، شفيق، شقيق)، فقد ذكر هذه الكلمات؛ ليبين صفات الإمام العادل وقربه للناس، قرب الهدف منه النصح والارشاد، أما في قوله: (الإمام السحاب الماطر والغيث الهاطل والسماء الظليلة والأرض البسيطة والعين الغزيرة والغدير والروضة)، كأنه هنا اراد تأكيد القول الأول؛ فاذا كان قرب الإمام عليه السلام من الناس لأجل

العطاء والنصح والارشاد والتوجيه، قطعاً يكون بالمقابل قرب الناس للأئمة عليهم السلام من أجل أن ارتشاف هذا العطاء الزاخر المستمر دون انقطاع، وقد استعمل الإمام عليه السلام لرسم صورة العطاء عدة أدوات بلاغية جميلة مؤثرة، فإلى جانب الجناس استعمل التشبيه؛ لتكون الصورة اقرب إلى ذهن المتلقي، لا تحتاج إلى كد لمعرفة المطلوب.

وأن ذكره لهذه الجناسات في هذه الأقوال التي تتحدث عن الإمام والإمامة وبعبارات قصيرة مكثفة المعاني، تنضح بالتشجيع والإرشاد، باستعمال أسلوب يجذب الذهن ويستميل النفس لقبول الدعوة، وتماسك تركيبي ودقة رصف الكلمات التي أراد بها التأثير على المتلقي ورجوعه إلى دينه وإلى تعاليم أهل البيت عليهم السلام وتوجيهاتهم، خصوصاً أن الذهن العربي يميل إلى الكلام الموسيقي الفني الذي قرع الأسماع بنغم حروفه المصفوف بشكل فني بلاغي.

التقابل:

يعد التقابل من أحد المحسنات البديعية، الذي حظي بعناية البلاغيين كثيراً؛ لما له من رفعة وبهاء في تزين الكلام.

وقد وضع البلاغيون مصطلحين: الأول الطباق، والثاني المقابلة، ثم فرقوا بين الأثنين، الطباق يقتصر على التضاد بين لفظين، أما التقابل فهو ما تعدا اللفظين[١١]، ومن المعروف أن التقابل له تأثير خاص ومميز في جمع الاضداد، وهذا يؤدي إلى موازنة بين الحسي وغير الحسي[١٢] مما يساعد على إيصال ما نريد والتأثير على المتلقي حتى يصل درجة التصديق؛ لأن مثل هذه الأسلوب(التقابل) يكون فيه النص بسياقين، السياق الأول يكون مدخلاً للسياق الثاني الذي يكون مقابلاً للأول الذي يساعده على التأثير والإقناع وهو ما نسعى إليه بهذا الأسلوب[١٣]، كل هذا يبين أهمية التقابل في تقوية التأثير البلاغي[١٤].

من الواضح أن الإمام عليه السلام استعمل هذا الأسلوب؛ ليضع أمام المتلقي صورة متكاملة تميز بها بين السلب والايجاب، او بين صورتين مختلفتين في المعنى، ومن أمثلة هذه المقابلة قوله عليه السلام: (إن أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن يوم يولد ويخرج من بطن أمه فيرى الدنيا ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها ويوم يبعث فيرى أحكاما لم يرها في دار الدنيا)، وفي موضع آخر يقول: (الإمام البدر المنير والسراج الزاهر والنور الطالع والنجم الهادي في غيابات الدجى والدليل على الهدى والمنجي من الردى)، ويقول أيضاً: (لعل

خير هذا باطن وهو خير له، وخيري ظاهر وهو شر لي، واذا رأى الذي هو خير منه واتقى تواضع له ليلحق به)، حشد نصوصه بمجموعة مقابلات الهدف منها بيان صفات متقابلة في اللفظ والمعنى، بدليل الافعال المتقابلة، فنجد التقابل بين الدنيا والآخرة وفي قول آخر يبين صفات الإمامة بأسلوب بلاغي تقابلي يجذب ذهن المتلقي، ومثل هذه الصفات ذكرها الله عز وجل في كتابه الكريم وخص بها المؤمنين، هذا وغيرها من المقابلات التي وردت في أقواله عليه السلام الهدف منها كان تنبيه المتلقي على صفات المؤمنين بالله بطريقة موسيقية ترغبها النفس العربية وتجذب المسامع وتأثر على العقل.

المبحث الثاني

العنصر الصوري

التشبيه:

يُعدّ التشبيه أحد الأساليب الأساسية التي يعتمدها المنشئ كوظيفة بلاغية توصيلية توضح المعاني وتقربها للمتلقي، فضلاً عن كونه وسيلة من وسائل إثارة الجمال في النص، والارتقاء بالنص من مرتبة الخطاب التداولي إلى خطاب تأثيري جمالي.

وإنّ أسلوب التشبيه فن له: "ضروب كثيرة قد اتسع في تفصيلها أهل المعاني والبيان، وهو عندهم الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى، وعند أهل البديع العقد على أنّ أحد الشيئين يسُدّ مسد الأخر"(١٥).

ومن أمثلة التشبيه التي وردت في أقوال الإمام الرضا عليه السلام، قوله: (لا يقبل الرجل يد الرجل فان قبله يده: كالصلاة له).

يجسد الإمام عليه السلام في هذا الحديث صورة (تشبيهية) شبه فيها تقبيل اليد بالصلاة لصاحبها، وهو تشبيه واقعي يعتمد على طرفين واقعيين وليس على تخيلين أو واقعية احدهما وتخيل الاخر، والمهم هو ملاحظة السمة البلاغية للتشبيه المذكور، فـ(اليد) رمز للعطاء، والمعطي الحقيقي هو الله تعالى؛ لأن المال مال الله تعالى، والمعطي من البشر انما يعطي مما فضله الله عليه، وهو يتصرف بالمال وفق ما رسمه تعالى من الانفاق الواجب والمندوب، وبما أن اليد كما قلنا هي الرمز للعطاء، حينئذ فان العطاء هو من الله تعالى، ولا يمكن تقبيل يد البشر.

وفي حديث آخر يقول: (الأخ الأكبر بمنزلة الأب)، هذا يعني أن للأخ الأكبر ميزة خاصة تفسر لنا منزلته بالقياس إلى الأصغر منه، و نلاحظ أن الحديث استعمل عبارة (بمنزلة) وهي عبارة تشبيهية مقابل عبارات أخرى مثل (الكاف) (كأنّ) (مثال) الخ، إذ أن كل اداة تضطلع بدرجة معينة في تحديد الشبه بين الشيئين، من هنا تعد (بمنزلة) اقرب الأدوات التشبيهية، بيد ان الشيئين، أي: بقدر كثرة اوجه الشبه بين الشيئين تضطلع عبارة (بمنزلة) أو (مثل) بالمهمة المذكورة، من هنا ندرك بان التماثل بين منزلة الاب والأخ الأكبر تبلغ من الكثرة إلى درجة التطابق الّا قليلاً، وهذا هو معنى استعمال عبارة (بمنزلة).

وهناك ينتسب إلى (التشبيه المتفاوت)، نحو (الذل في الله احب اليه من العز مع غيره) ومثل هذا التنوع في الصورة الواحدة له مسوغاته الفنية فيما قلنا بأن المعصوم عليه السلام لا يصوغ صورة فنية الاّ لأنها ترد في سياقات تفرض مثل هذه الصورة أو تلك، فعند استعمال اداة (الكاف) في قوله (إن قبلة يده: كالصلاة له)، فلأن الكاف هي الاداة التي تستعمل في التشبيه المألوف (اي ما كان طرفاه: في الدرجة المتوسطة من التماثل) وهذا ما ينطبق على تقبيل اليد كالصلاة له؛ لأن الصلاة خشوع والتقبيل خشوع ايضاً، أما يمن استعمل أداة (بمنزلة) في قوله عليه السلام (الأخ الأكبر بمنزلة الأب) فلأن بمنزلة هي: أداة (تقريب) بين طرفي التشبيه إذ ترتفع درجة التشابه إلى درجة فوق المتوسط لأن بمنزلة هي تقريب لدرجة التماثل بين الطرفين، وهذا ما ينطبق على الأخ الأكبر، بصفته يلي منزلة الأب مباشرة... وهكذا بالنسبة لـ (تشبيه التفاوت) إذ انه عليه السلام استعمل العبارة المعروفة في التفاضل مثل (أحب) بصفة ان (الذل في الله) أحب بالفعل من (العز) في عدو الله، وهو أمر لا يتطلب الا أداة (التفاوت) وليس أداة المماثلة.

إن كثرة استعمال الإمام عليه السلام للصورة التشبيهية والتمثيلة كان بهدف تقريب الصورة لذهن المتلقي؛ لأن الصورة التشبيه غالباً ما يكون هدفها التقريب(تقريب الفكرة) خصوصاً إذا كان المشبه به قريب مستشف من الواقع، فالإمام عليه السلام من نصوصه التي وردت في الحكم والأقوال التي تخص الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية نوع ما بين الأساليب التي تحتاج للتفكير وكد الذهن والأساليب القريب التي لا تحتاج إلى واسطة لفهم النص، وهذا ما يجعل النصوص تحاكي طبقات المجتمع جميعاً بمختلف مستوياتهم وأفكارهم.

الاستعارة:

وهو التصوير المبني على أساس تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإنابة[١٦]؛ لأن الاستعارة "هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي للكلمة والمعنى الذي نقلت إليه الكلمة مع وجود قرينة مانعة من ارادة المعنى الاصلي"[١٧]، وقد جاء عن بلاغتها إذ ذكر الرماني " أن الاستعارة الحسنة هي التي توجب بلاغة بيان لا تنوب منابه الحقيقة، وذلك أنه لو كان تقوم مقامه الحقيقة كانت أولى به، ولم تجز الاستعارة، وكل استعارة لابد لها من حقيقة، وأصل الدلالة على المعنى"[١٨].

والاستعارة تُعد من العناصر الأدبية ذات التعبير غير المباشر، والتي تعني نقل المتلقي للرسالة الأدبية بدلالات مختلفة غير محددة؛ ليحقق قوة فعالة ومؤثرة على المتلقي، والاستعارة" مجاز بلاغي فيه انتقال معنى مجرد إلى تعبير مجسد، من غير الالتجاء إلى أدوات التشبيه أو المقارنة"[١٩]، صالحة في مختلف مفاصل الكلام؛ لأنها" طريقة مثلى لاستبطان الأفكار، وتنقل تأثيرها بما تخلفه من صور ورموز سواء أكانت العلاقة التي تخلقها بين المعاني علاقة مشتركة أم ضدية، قريبة أم بعيدة، ولكونها تضع الأشياء في علاقات حية جديدة تفيد شرح المعنى، وتفعيل في النفس ما لا تفعله الحقيقة، وتفيد تأكيد المعنى والمبالغة فيه والإيجاز، ثم أنها عنصر مهم من عناصر التوليد والتجديد"[٢٠]، وتوجد مواضع تشير إلى الصورة الاستعارية وردَت في المأثورِ عن الإمامِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ موسى الرضا عليه السلام أنَّه قال يُوصي أحدَ شيعتِه: (يا عليُّ أحسِنوا جوارَ النِعَمِ فإنَّها وحشيَّةٌ، ما نأتْ عن قومٍ فعادتْ إليهم).

فالإمامُ عليه السلام يُشبِّه النعمةَ بالجارِ أو بالمستجيرِ الذي لجأ واستجار بك يبتغي حمايتَك ويرجو أن تذودَ عنه، وترعاه، وتكفيَه شرورَ عدوِّه، فمفادُ كلامِ الإمام عليه السلام هو إنَّ هذه النعمةَ التي منحَك اللهُ تعالى إياها هي بمثابةِ رجلٍ ضعيفٍ استجار عندك، فإنْ أحسنتَ جوارَه كنتَ قد أدَّيتَ حقّاً هو عليك فتكون مستحقاً للجزاء، كذلك هي النعمة التي منحك اللهُ إيَّاها إنْ أحسنتَ جوارها، وذلك بحسن تدبيرها والرعاية لها عن الضياع فحينذاك تكون قد التزمت بحقٍّ هو عليك وتكون ثمرته هي أن لا يسلبك الله هذه النعمة بل قد يحبوك بمثلها وأضعافها وإن فرطت في حفظها وأسأت في تدبيرها عرضتها للزوال.

فالإمامُ عليه السلام أرادَ أن يقولَ بأنَّ العلاقةَ بين النعمِ الإلهيَّةِ وبين الإنسانِ التي يَحظى بها

أشبهُ شيءٍ بعلاقة الإنسانِ بالطيرِ الوحشيِّ الذي وقعَ في يدِه، إنْ أحسنَ تدبيرَ حبسه تمكَّنَ من الإبقاءِ عليه في حوزتِه وتحت يده، وإنْ فرَّط وغفل وتهاونَ ولم يكترثْ فإنَّ الطيرَ يُراقبُ غفلتَه، ويرصدُ أيَّ فرصة سانحة ليَفرَّ منه، فإذا تمكَّن من الفرارِ لم يعُدْ إليه، "أحسنوا جِوارَ النعمِ فإنَّها وحشيَّةٌ ما نأتْ - أي ما ذهبتْ وزُويتْ - عن قومٍ فعادتْ إليهم"، وهذا المعنى قد أفاده العديدُ من أئمةِ أهل البيت عليهم السلام بصيغٍ مختلفة، ومثل هذا النقل في الكلمات يجذب ذهن المتلقي ويشد فكره لما يريد الملقي ان ينقله.

ويقول في موضع آخر: (لا يعدم المرء دائرة السوء مع نكث الصفقة، ولا يعدم تعجيل العقوبة مع ادراع البغي) استعار الإمام عليه السلام، (نكث الصفقة) - التي تعني إخلاف العهد الذي يعقد بين شخصين، ولو كان في أمور بيع أو غيرها ثم ينقضها عامداً قاصداً بغير رضا الآخر، وأعظم ذلك: العهود التي تبرم بين الجماعات أو مع إمام بأن يعطى صفقةً ثم يخالف ويناقض في ذلك، فإن هذا من أعظمها- واطلقها على من يخالف تعاليم الدين، فدائرة السوء ونقض الصفقة وجهان لعملة واحدة، ثم اردف هذه الاستعارة باستعارة أخرى تؤدي المعنى نفسه، فقال(ادراع البغي) فالبغي صفة معنوية لا يمكن أن تلبس، لكن الإمام عليه السلام استعملها؛ ليدل بها على مدى انغماس المرء بالبغي والابتعاد عن الدين، إذ لا يمكن أن يؤدي هذا المعنى غير هذا اللفظ.

فالبغي والانغماس به يجعل المرء عرضة للعقوبات الالهية، التي لا يمكن ردها الاّ بالعمل الصالح والايمان الصادق بالله (عز وجل) والرسول الأعظم وأهل البيت عليهم السلام.

من النصوص السابقة نلاحظ أن الإمام عليه السلام إتجه إلى تعريف الإمامة وفق لغة فنية تعتمد العبارات القصيرة، الموحية، المشحونة بالإيحاءات ، وبالصور الفنية وباللغة الإيقاعية، وبالصياغات التعبيرية التي تعتمد التقابل، التكرار، الجناس، التشبيه، الاستعارة...

الخاتمة:

وفي نهاية المطاف لابد لنا من الوقوف على أهم النتائج التي توصلنا اليها والتي تتلخص بما يأتي:

لقد استعمل الإمام عليه السلام مجموعة من الصنوف الفنية والمتمثلة بالاستعارة، التكرار، والايقاع، والجناس، والطباق، كان الهدف منها الإشارة من بعيد لأفعال المتلقين، فضلاً عن

ما تحمله الاقوال والحكم من الكلام المباشر الذي نبهم فيها على امور اجتماعية وسياسية ودينية واجب اتباعها والعمل بها، ومثل هذه الصياغات الفنية البلاغة التي تتصف بجمال الاسلوب ينفرد بها المعصومين عليهم السلام، لا لانهم يعنون بالفن من حيث هو فن، ولا لانهم يعنون بالعلم من حيث كونه تعبير مناسب لإبراز الحقائق، بل لا لانهم يصوغون الحقائق وفق متطلبات السياق الذي يفرض وهذا ما وجدناه.

الملحق

حكم وأقوال الإمام الرضا عليه السلام

- (مجالسة العلماء عبادة و النظر إلى علي عليه السلام عبادة و النظر إلى البيت عبادة و النظر إلى المصحف عبادة و النظر إلى الوالدين عبادة) (بحار الانوار، المجلسي،١/ ٢٠٤).
- (الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة) (بحار الانوار، المجلسي،٦٧/ ١٣٦).
- (أفضل ما يقدمه العالم من محبينا و موالينا أمامه ليوم فقره و فاقته و ذله و مسكنته أن يغيث في الدنيا مسكينا من محبينا من يد ناصب عدو لله و لرسوله يقوم من قبره و الملائكة صفوف من شفير قبره إلى موضع محله من جنان الله) (بحار الانوار، المجلسي،٢/ ١١).
- (خيار العباد الّذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساؤوا استغفروا، وإذا أعطوا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا غفروا) (تحفة العقول، ٤٧٩).
- (يا ابن أبي محمود إذا أخذ الناس يمينا و شمالا فالزم طريقتنا فإنه من لزمنا لزمناه و من فارقنا فارقناه إن أدنى ما يخرج الرجل من الإيمان أن يقول للحصاة هذه نواة ثم يدين بذلك و يبرأ ممن خالفه يا ابن أبي محمود احفظ ما حدثتك به فقد جمعت لك فيه خير الدنيا والآخرة) (عيون اخبار الرضا، الشيخ الصدوق، ٢٧٢).
- (إياك والضربة بِالصَّوْلَجَان فإن الشيطان يركض معك والملائكة تنفر عنك ومن عثر دابته فمات دخل النار) (فقه الرضا، علي بن بابويه، ٢٨٤).
- (من أحب عاصيا فهو عاص ومن أحب مطيعا فهو مطيع ومن أعان ظالما فهو ظالم ومن خذل عادلا فهو خاذل إنه ليس بين الله وبين أحد قرابة ولا ينال أحد ولاية الله إلا بالطاعة ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لبني عبد المطلب ائتوني بأعمالكم لا بأنسابكم وأحسابكم) (بحار الانوار، المجلسي،٤٦/ ١٧٧).

- (يا يونس وما عليك أن لو كان في يدك اليمنى درة ثم قال الناس بعرة أو بعرة وقال الناس درة هل ينفعك شيئا فقلت لا فقال هكذا أنت يا يونس إذا كنت على الصواب وكان إمامك عنك راضيا لم يضرك ما قال الناس) (بحار الانوار، المجلسي،٢/ ٦٦)
- (الإمام الأمين الرفيق والولد الشفيق والأخ الشقيق وكالأم البرة بالولد الصغير ومفزع العباد) (الكافي، الكليني، ٢٠٠)
- (الإمام السحاب الماطر والغيث الهاطل والسماء الظليلة والأرض البسيطة والعين الغزيرة والغدير والروضة.) (بحار الانوار، المجلسي،١/ ١٢٣)
- (إن أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن يوم يولد ويخرج من بطن أمه فيرى الدنيا ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها ويوم يبعث فيرى أحكاما لم يرها في دار الدنيا) (الخصال، الشيخ الصدوق، ١٠٧)
- (الإمام البدر المنير والسراج الزاهر والنور الطالع والنجم الهادي في غيابات الدجى والدليل على الهدى والمنجي من الردى) (الكافي، الكليني، ٢٠٠)
- (لعل خير هذا باطن وهو خير له، وخيري ظاهر وهو شر لي، واذا رأى الذي هو خير منه واتقى تواضع له ليلحق به) (بحار الانوار، المجلسي،٧٥/ ٣٣٦)
- (لا يقبل الرجل يد الرجل فان قبله يده: كالصلاة له). (تحفة العقول، ٤٧٣)
- (الأخ الأكبر بمنزلة الأب) (تحفة العقول، ٤٦٦)
- (الذل في الله احب اليه من العز مع غيره) (بحار الانوار، المجلسي، ١/ ١٤٠)
- (يا عليُّ أحسِنوا جوارَ النِعَمِ فإنَّها وحشيَّةٌ، ما نأتْ عن قومٍ فعادتْ إليهم) (تحفة العقول، ٤٧٢)
- (لا يعدم المرء دائرة السوء مع نكث الصفقة، ولا يعدم تعجيل العقوبة مع ادراع البغي) (بحار الانوار، المجلسي، ٦٤/ ١٨٦)

هوامش البحث

(١) الشعر الحر، نازك الملائكة،٢٧٦
(٢) الاسس الجمالية في النقد الادبي، عز الدين اسماعيل، ٤٣
(٣) الصورة الادبية في القران الكريم، صلاح الدين عبد التواب، ٧٥-٧٦
(٤) التقابل الجمالي في النص القرآني، حسين جمعة، ٢٧٩
(٥) البديع وفنونه مقارنة نسقية بنيوية شكري الطوانسي، ٢٠١
(٦) التقابل الجمالي في النص القراني، حسين جمعة،١٥٣
(٧) قضية البنيوية، عبد السلام المسّدي، ٢٣
(٨) ينظر: البديع وفنونه مقارنة نسقية بنيوية شكري الطوانسي، ٨٧
(٩) ينظر: دليل البلاغة القرآنية، محمد بن سعيد الدبل، ٣٤١
(١٠) ينظر: البلاغة العربية وقراءة أخرى، محمد بن عبد المطلب، ٣٧٢
(١١) البرهان في علوم القران، الزركشي،١/ ١٥
(١٢) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ٩١
(١٣) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران،١٩٥
(١٤) ينظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، مثنى كاظم صادق، ١٩٦
(١٥) شرح الكافية البديعية، في علوم البلاغة ومحاسن البديع، صفي الدين الحلي، ١٨٤
(١٦) ينظر: مفتاح العلوم السكاكي ٢٠٣
(١٧) القران والصورة البيانية، عبد القادر حسين، ١٧١
(١٨) النكت في اعجاز القران، الرماني، ٧٩
(١٩) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ٦٦
(٢٠) ينظر: الكناية في البلاغة العربية، بشير كحيل، ١١٣

قائمة المصادر والمراجع

- الاسس الجمالية في النقد الادبي، عز الدين اسماعيل، دار الشؤون الثقافية ، بغداد،ط٣، ١٩٨٦
- أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، مثنى كاظم صادق، منشورات ضفاف، دار الامان للنشر والتوزيع، (د.ط)، ٢٠١٥
- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، (د. ط)، ٢٠٠٧
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، بيروت، مؤسسة الاعلمي، (د.ط)، ٢٠٠٨

- البديع وفنونه مقارنة نسقية بنيوية شكري الطوانسي ، مكتبة الاداب، القاهرة، (د. ط)، ٢٠٠٨
- البرهان في علوم القران، الزركشي، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب، ط١، ١٩٥٧
- البلاغة العربية وقراءة أخرى، محمد بن عبد المطلب، الشركة المصرية للعالمية للنشر لونجمان، ط٢، ١٩٩٧
- تحفة العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي الحراني، مؤسسة الاعلمي، (د. ط)، ٢٠٠٢
- التقابل الجمالي في النص القرآني، حسين جمعة ، منشورات دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، (د. ط) ٢٠٠٥
- الخصال، الصدوق، تح: علي أكبر الغفاري، (د. ط)، ١٤٠٣.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، ابو فهر للنشر، مطبعة المدني ، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢
- دليل البلاغة القرآنية، محمد بن سعيد الدبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية، الرياض، ط٢، (د.ت)
- شرح الكافية البديعية، في علوم البلاغة ومحاسن البديع، صفي الدين الحلي، (د. ط)، (د. ت)
- الشعر الحر، نازك الملائكة، بغداد، ط٥، ١٩٦٢
- الصورة الادبية في القران الكريم، صلاح الدين عبد التواب، دار نوبار للطباعة، القاهرة، (د. ط) ، ١٩٩٥
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧
- عيون اخبار الرضا، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بابويه الصدوق، تح: حسين الاعلمي، (د. ط)، ١٩٨٤
- مفتاح العلوم، السكاكي، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، بمصر، ط٢، ١٩٩٠
- القرآن والصورة البيانية، عبد القادر حسين، دار غريب للطباعة، القاهرة، ط١، ٢٠١٠
- الكافي، الكليني، تح: علي أكبر الغفاري، مصادر الشيعة، ط٥، (د. ت)
- الكناية في البلاغة العربية، بشير كحيل، جامعة باجي مختار، (د. ط) ، (د. ت)
- النكت في اعجاز القران، الرماني، دار المعارف،(د. ط)، (د.ت)